أنتيتسا

قصة للكاتب الابخازي م. لاكيرباي

ترجمة : نقولا طويل

ـ « خمس سنوات من الصمت ، فيها الكفاية ، يا ابنتي ، واريد منك ان تتحدثي امامي . افعلي ذلك ، ارجوك ! »

قال العجوز « دجفوانات كوفه » لزوجة ابنه « تامشوغ » ، الشابة الفاتنة « انتيتسا » .

ـ « منذ خمس سنوات وانت تعيشين في بيتنا ، ومع ذلك فانا لم اسمع قط صوتك . لا بد وان يكون رخيما وحلوا مثلك . تكلمي اذن ، قولي بضع كلمات على الاقل! »

ولكن ليس من السهل اقناع شابة ابخازية ان تمزق تقاليد الاسلاف التي تحظر على العروس « الكنة » ان تتحدث بوجود « حميها » (والد الزوج)

ذهب العجوز الى بيت جاره « ماهاز طاربا » وقال له :

ـ « انها لتقاليد خرقاء .. واني اعتقد انهم « بلهاء » هؤلاء الذين اوجدوها » .

ـ « اني لست من رأيك » ، اجاب الجار . « ان الذين تعنيهم ما كانوا يوما «بلهاء» .. وعدا ذلك ، فهناك تقاليد اخرى ليست اكثر قدما تمكنك من الوصول الى بغيتك ، اذا تمسكت بها .»

وذكر « ماهاز » للعجوز « دجفوانات » ان امنية واضحة لعشرة اشخاص ، يرغبونها ، ويساندونها ، لا بد وان تلبى .

ـ « صحيح ! » ، اجاب العجوز ، مغتبطا .

وفي اليوم التالي ، ذبح عجلا ، وامر باحضار المشروبات والمأكولات ، تكفي لاربعين شخصا .

ـ « ولاية مناسبة ؟ » ، سأله ابنه .

فابتسم الاب ابتسامة غامضة وقال :

ـ « ستعرف ذلك قريبا » . ثم ذهب بنفسه لدعوة الجيران ، الاقرباء والاصدقاء . ومدت طاولة ضخمة ، بصعوبة ، في البيت الصغير . وعندما اوشك النهار ان ينتصف ، كان على الطاولة مأكولات ومشروبات من كل نوع . ثم توافد المدعوون ، الواحد اثر الاخر .

واجاب العجوز على همسات بعض المتطفلين الحشريين الذين فقدوا الصبر لمعرفة سبب حضورهم لهذه الوليمة الدسمة : (لاية مناسبة ؟ هل سيتزوج العجوز ثانية رغم بلوغه الثمانين ؟) ، بقوله :

ـ « مهلا ! سأوضح لكم السبب ، عندما نكتمل حول الطاولة .. تفضلوا واجلسوا . »

وحينما ابتدأوا ياكلون ويشربون ، وقف العجوز « دجفوانات » وفي يده كاس وقال :

ـ « ايها الاصدقاء الاعزاء .. لقد حان الوقت لاشرح لكم لماذا دعوتكم اليوم . انكم تعرفون جميعا « كنتي » انتيتسا . انعينيها تلمعان كنجتيمين وهي ذات رقة ولطافة لا حد لهما .. وانا احبها كابنتي .. ومع ذلك فهناك شيء يؤرقني .. منذ خمس سنوات وهي تزين بيتي ، ولكني لم اسمع صوتها قط ... فهي تطيع التقاليد الابخازية القديمة التي تحظر على المرأة ان تتكلم امام « حميها » (عمها : والد الزوج) وبما انها قد حظيت بمحبتي وعطفي ... اتمنى ان تشعر انها حرة ، امامي .. وان تتصرف في بيتي كابنة وليس ك « كنة » . اني اشرب اذن نخب صحتها .. وارجو ، ان تتحققامنيتي .. وانتم ايها الجيران الاحباء ، والاقارب والاصدقاء ، دعوتكم لتطلبوا معي من « انتيتسا » انتتكلممن الانفصاعدا، امامي ... »

وافرغ كأسه .. في حين ارتفعت الاصوات المرحة حول الطاولة :

ـ فليكن كذلك ... نحن ايضا يا « انتيتسا » نرجوك » .

كانت المرأة الشابة تجلس في ناحية منزوية ،فاحمر خداها ،وارتبكت، ثم اطرقت وجهها الجميل ، المحاط بضفائر سوداء طويلة ، ارضا . وملا صاحب الدعوة كأسه ، وقدمها لجاره « ماهاز » ذي الرأس المكلل بالشعر والذي يحترمه الجميع . فأخذ « ماهاز » الكأس ، بتقدير واستدار نحو انتيتسا وخاطبها بهذه العبارات :

ـ « اني اقترب من سني الثماني والعشرين بعد المائة ، واقول لك الحقيقة : اني لم أر ولم اسمع ان في « ابخازيا » كنة معززة من عمها واصدقائها بهذه الصورة . ولكن كما يقول المثل عندنا « اي شيء لم نره قبل ان نموت » . ومهما يكن ، وبما ان « دجفوانات » الطيب الكريم قد تمنى ، فيجب التصديق ، بانك تستحقين ذلك . ومن الطبيعي ان انضم اليه واطلباليك ان تتحدثي بعد الان امامه ، وان كان عمك .. نخب صحتك ! »

وتناقلت الايدي الكأس .. وكان كل واحد ، يعيد نفس الرجاء وهو يفرغ محتويات الكأس . ودامت الحفلة وقتا طويلا .. وعاد المدعوون الى بيوتهم في ساعة متأخرة من الليل ..

وفي صباح اليوم التالي نهض العجوز «دجفوانات » من سريره، وبعد ان ارتدي ثيابه التقى بأنتيتسا وهي تحلب البقرة :

ـ « صباح الخير يا جميلتي » هتف العجوز ، وقد نفد صبره ، ليستمع الى جرس صوتها . فأجابته :

ـ « صباح الخير .. صباح الخير ... »

ما هذا الجفاء ؟! كان في حدبثها كبرياء . وقد تأكد له ذلك عندما تابعت تقول :

ـ « بدلا من ان تثرثر بلا طائل يمكنك ان تمسك البقرة .. الاتراها تضايقني ..؟

كان الصوت حادا ، قاسيا . ماذا ؟! أهكذا تتكلم الجميلة انتيتسا ؟! ان العجوز لم يستطع ان يصدق اذنيه ! فاقترب ليمسك البقرة التي كانت لا تتحرك ولا تضايق احدا .. ثم سألها عن ابنه : ـ « تاشوغ ؟ »

ـ « وهل اعرف انا اين يكون ؟ ان لديه اكثر من ستة وثلاثين شغلا .. وليس مثلك لا تفعل شيئا سوى تقليب ابهامك .. »

ـ « ماذا جرى لك يا ابنتي ؟ » سألها العجوز بصوت فيه تردد .. « هل هناك ما يقلقك ؟ هل تشعرين بمرض ؟ من اين لك هـذا المزاج الخبيـث ؟! »

ـ اني في صحتي الكاملة ، ولست مثلك تقضي حياتك بدون ان تشغل فكرك ».

ورجع العجوز الى غرفته حسيرا ، واستلقى فوق سريره متسائلا عن السبب الذي استطاع ان يبدل اطباع أنتيتسا .. عن سبب هذا التحول في ليلة واحدة ... ولكن صوت « كنته » الهادر في باحة الدار اوقفه عن تأملاته: ـ «كسول ، يلتذ بالراحة والنوم طول النهار »!

وبعد لحظة بدت عند العتبة وقالت له :

ـ « ألم « تقرف » بعد من الحياة التي تعيشها ؟ »

لقد « طفح الكيل » . فقفز العجوز من السرير ، متناسيا مـرض « الروماتيزم » الذي يعانيه ، وارتدى « بشليكه » وخرج الى الشـارع ، تلاحقه « كنته » بصراخها الواخز . وتاه طوال يومه في الحقول ، وزار جيرانه الاكثر بعدا ، ولم يرجع الى البيت الا مع هبوط الظلام .. وقبل ان يضمه الفراش قال لابنه :

ـ « يا تاشوغ. اني اشعر جيدا ان حياتي الباقية اقصر مما اتصـور ... وغدا بسأجمع ثانية اصدقائي . لقد بقي لي عجل واحد . لنذبحه . وهيء مع زوجتك « انتيتسا » الطعام ،ريثما اقوم بالدعوة.هل انت موافق»؟

ـ « طبعا » ، اجاب الابن بسرور . اني موافق على اقامة الولائم » .

وفي اليوم التالي ذبح العجل وجهز الاكل . وتحلق المدعوون ـ مدعوو الوليمة الماضية انفسهم ـ حول الطاولة . وعندما فرغت بعض الكـؤوس نهض صاحب الدعوة ، وفي يده كأس مملوءة بالنبيذ ، وخاطب المدعوين بهذه العبارات :

ـ « ايها الاصدقاء الاعزاء ! لقد انصرم يومان ، في اجتماعنا حول هذه الطاولة ، على طلبنا الملحاح من انتيتسا ـ كنتي الجميلة ـ لكي تتكلم امامي. وقد امتثلت لما طلبناه منها . ويوم امس اكتفيت من صوتها واحاديثها . واذا كنت قد دعوتكم اليوم فذلك لتتوجهوا اليها ، معي . والذي اطلبه منها ، حاليا ، الذي ستظل بونه منها ، معي ، كما آمل ـ هو العودة الـى التمسك بتقاليد الاسلاف التي تفرض على الكنة ان تلتزم الصمت امام عمها . »فقال «ماهاز» :

ـ « لقد كنت على حق اذن عندما قلت ان الذين اوجدوا هذه التقاليد لم يكونوا « بلهاء » !

ـ « بكل تأكيد ! » هتف العجوز « دجفوانات كوفه » .. « لقـد كانوا حكمـاء ! »

وقال ماهاز بهدوء ، محاولا ان يخفي ضحكة ساخرة :

ـ « وكان عليك .. لتدرك هذه الحكمة ، ان تذبح عجلين ! »

ترجمة : نقولا طويل

أعظم ماتخرجه المطابع لعام ١٩٥٨

ما من شك في ان رجال القلم في لبنان ، وفي الاقطار العربية ، يعرفون منزلة (الليالي) من التاريخ العربي. وعنايتها بنشر هذا التاريخ بالاسلوب الروائي الجـذاب الساحر الذي ذهب له في البلاد ذكر .

ان روايات (الليالي)التي تشتمل على تاريخ دول العرب في هذا الشرق قبل الاسلام وبعده ، وعلى مـا جرى فيها من سياسة وبطولة وفتح وغرام ... ان هذه الروايات تحف رائعة خالدة في عالم الادب والقصة وقد شهدت لها الاقلام الراقية في طول البلاد وعرضها انها بعيدة الاثر في التاريخ والبيان والانشاء السهل ، وقالوا عنها انها اعظم وأجمل وأشهى ما كتبته اقـلام الروائيين والمؤرخين ، ان الاستاذ الكبير اميل حبشـي الاشقر وهو صاحب مدرسة القصة الحديثة ، واضـع هذه الروايات هو من كبار المؤرخين والادباء والروائيين وقد كانت ثمار قلمه هذه المجموعات الكبيرة التـي تقرأ

١ الحارث الاكبر	٨ اليتيمة الساحرة
٢ النعمان الثالث ملك العراق	٩ فتاة الشام
٣ زينب ملكة تدمر	١٠ عمر وام كلثوم
٤ حسناء الحجاز	١١ العاشق المجنون
٥ بلقيس ملكة اليمـن	١٢ السفاح والمنصور
٦ ملك الانباط	١٣ اسد وكوثر
٧ هند والمنذر	١٤ الامير العاشق

دار الاندلس

للطباعة والتوزيع والنشر ـ بيروت

هذه الروايات تزف البشرى الى رجال العلم والمفكرين وعشاق الفن الروائي البديع... والتاريخ ، ان هذه الروايات هي اليوم على الالة الطابعة وستنشر قريبـا جدا في الامة وسيرى العرب في كل مكان ان الخدمـة التي اسداها المؤلف الى كل عربي هي اجل خدمة يسديها اديب